وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام
ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره
لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القايم بنفسه والقايم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا
فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك
فاذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه
مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هاهنا نظر حبيب بن ابي حبيب
حيث قرا قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه
اذا اثنى على عطايه فعلى نفسه اثنى فهو المثني والمثنى عليه ومن هاهنا نظر الشيخ ابو سعيد
الميهني حيث قرا بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشارة
الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الامثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف
اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده
من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود فهو تصنيف الله وصنعته فان احبه فما احب
الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية
عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم
ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم
الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين
اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين
واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك امة نوح كانوا يضحكون
عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين

النظر الثاني نظر من لم يصل الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم
وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو
الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قايم بنفسه وقايم على كل نفس بما كسبت وكل قايم فقيامه به
ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود
لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين
الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث
هو هو والموجود قايم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى
الا وجه ربك. **الفريق الثاني** ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى
العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير
الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذي قبله جاحد تحقيقا
فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر
من اثبات التفاوت والنقص في الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد
في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله فان بقي
في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينثني عن رؤيته ما سوى الله فلا يرى الا الله
فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصان الموجودين وكتب الله المنزلة على السنة رسله
هي الكحل الذي يحصل به انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين الى التوحيد المحض
وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد
هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد
اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكانوا داخلين في اوايل ابواب التوحيد دخولا
ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون ومنهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له حقايق التوحيد
ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام
فيه عزيز كما قيل لكل الى شاو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات ولما امر رسول الله

Copyright © King Saud University